العمارة في مدينة الجزائر في القرن 17م من خلال رحلة "المعارج المرقية في الرحلة المشرقية" لمحمد الرافعي التطواني (ت بعد 1110هـ)

د/ محمد البغيال

جامعة عبد المالك السعدي - المملكة المغربية

تقديم :

تعتبر العمارة وفن العمران من أقدم إنجازات الإنسان، بل أقدمها على الإطلاق، وأحد الروافد الأساسية التي يمكن أن نتتبع عبر حمولتها تاريخ البشرية، وتطور ثقافاتها، وتلاقح تأثيراتها مدا وجزرا[1]. ويحتل فن العمارة مكانة متميزة في ملاحظات الرحّالين ومشاهداتهم في المناطق التي شملتها رحلاتهم وجولاتهم، فالرحلات أولت فن العمارة اهتماما خاصا من حيث أشكاله ووظائفه الدينية والاجتماعية والدفاعية، مبرزة عناصر الإبداع الهندسي والجمالي والزُّخْرُفي التي انصرف إلى تجسيدها المعمار الفنان [2]. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الرحلات في كونها مصدرا لما اندثر من فنون العمارة، ورصدا لما خضعت له العمارة القائمة من تطور عبر الحقب والعصور.

ولا نُبالغ إذا قلنا أن موضوع وصف العمارة والعمران شكل الموضوع الرئيس في رحلة الرافعي التطواني الموسومة " **بالمعارج المرقية في الرحلة المشرقية**"، بالنظر إلى الحيز الكبير الذي خصصه الرحالة لوصف العمارة في جميع المناطق والبلدان التي شكلت خط سير رحلته إلى الحجاز، وبالنظر أيضا إلى الاهتمام الفائق الذي أولاه الرحالة في تقديم معطيات دقيقة ومفصلة عن المعالم والمآثر العمرانية التي شاهدها وباشر مُعاينتها بنفسه، فرفع قياساتها وحدد أشكالها الهندسية بدقة متناهية، وأبرز خصائصها المعمارية والزُّخرفية بأسلوب سجعي جميل ينم عن ذوق فني رفيع وتقدير لقيم الجمال وتثمينها. فكل الأوصاف التي ضمنها الرافعي في رحلته، اعتمد فيها على المشاهدة والمعاينة الميدانية المباشرة، فلم يستند في رحلته -كما فعل كثير من الرحالة المغاربة [3]- على نقل أوصاف المعالم والمآثر التي شاهدها من رحلات أو مؤلفات سابقيه، الشيء الذي يكسب وصفه راهنية الفترة التي زار فيها تلك المعالم المعمارية.

ولعل أهم ما يميز رحلة الرافعي التطواني في هذا الجانب هو تعدد واختلاف أنواع العمارة التي حظيت بوصف الرحالة، فإلى جانب العمارة الدينية التي تشمل وصف الجوامع والمساجد، انصرف الرحالة إلى الاهتمام بوصف العمارة المدنية، فكانت له وقفات متأنية في عدد من المدن كمدينة الجزائر؛ فقدم لنا معطيات دقيقة ومفصلة عن عناصرها المعمارية ومآثرها العمرانية ومرافقها الاجتماعية كالحمامات والأسواق والشوارع وغيرها. وفي

مقام ثالث اهتم الرافعي كثيرا بوصف العمارة الدفاعية وعناصرها كالأسوار والأبراج وتحصينات المراسي والرباطات والخنادق. ولعل اهتمام الرافعي هذا يجد تفسيره في خصائص المرحلة التاريخية التي عايشها الرجل وهي فترة حكم السلطان مولاي إسماعيل العلوي (1672-1727م) التي تميزت بالتعبئة "للجهاد" من أجل تحرير الثغور المحتلة من أيدي الأوروبيين البرتغاليين والإنجليز والإسبانيين، فكان الرافعي من أشد المناصرين والمتحمسين لهذه "السياسة الجهادية" التي استهدفت تطهير البلاد من المحتلين الأوربيين كما يستشف ذلك من قصائده التي نَظَمَها بمناسبة فتح تَغْرَيْ المعمورة وطنجة[4]، وأيضا من خلال رسائله في موضوع الجهاد والمجاهدين بالشواطئ المغربية، والتي ضَمَّنَها كتابه "غُرَرُ المقاصد والمطالب ودُرَرُ الرسائل لكل طالب"[5].

ولكن قبل الدخول في الموضوع والشروع في تحليل عناصره وتفكيكها، يجدر بنا الوقوف عند ترجمة مؤلف الرحلة " **المعارج المرقية في الرحلة المشرقية** " وتسليط الضوء على مختلف المؤثرات السوسيو- ثقافية التي أسهمت في تكوين شخصيته وبلورة مواقفه من القضايا الفكرية والسياسية التي ميزت عصره وخاصة القضية الوطنية الكبرى المتمثلة في الجهاد من أجل تحرير الثغور المحتلة.

يجمع المؤرخون والباحثون الذين حاولوا الترجمة للفقيه الرافعي التطواني على نُدرة وشُحّ المعلومات حول هذا الرجل، فالمؤرخ التطواني محمد داود يُقر بأنه "لم نكن نعرف عنه شيئا

قبل بضع سنوات، فلم نقرأ اسمه في كتاب، ولم نسمع به أو بأي شيء عنه من أفواه الشيوخ، إلى أن وقع العثور أخيرا على مجموع خطي كبير له، فكان هو الذي عرفنا به وبآثاره، وكأن هذا المجموع هو الذي أخرجه من العدم إلى الوجود" [6]. والملاحظة نفسها سجلها الدكتور مصطفى الغاشي في أطروحته، حينما حاول مَوقعة شخصية الرافعي ضمن انتماءاتها الاجتماعية والسياسية، فخلص إلى أن نص الرحلة يظل المصدر الرئيس في تسليط الضوء على حياة هذا الرجل الذي تجاهلته أقلام الكتاب والمترجمين من عصره[7]. كما تختلف تقديرات المؤرخين والباحثين في تحديد وضبط سنة وفاته[8].

وعموما فقد حاولنا الاعتماد -إلى جانب المعطيات التي ذكرها الأستاذ محمد داود، وبعض الإشارات الأخرى الواردة عند صاحب الدليل وخير الدين الزركلي- على نص الرحلة من أجل صناعة ترجمة لهذا العلم التطواني المغمور، نكشف من خلالها عن الجوانب العلمية والأدبية والصوفية والسياسية التي شكلت شخصية الرافعي.

1 - ترجمة المؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي الأندلسي الأصل التطواني، ولد حوالي سنة 1040هـ/1630م، حَلَّاهُ الأستاذ محمد داود في ترجمته له بالفقيه الأديب الشاعر الناظم الكاتب [9]، كما نَعَتَهُ الزركلي بالفقيه المتأدب

ونفى عنه صفة الشاعر [10]. من أبرز شيوخه، سيدي علي بَرَكَة والشيخ أحمد بن ناصر الدرعي الذي التقى به في الحج فلازمه وقرأ عليه كتاب مناسك الحج للشيخ خليل[11].

وتظهر شخصية الرافعي المتعطشة للعلم والمعرفة في مجالسته للعلماء وحضوره لحلقات الدرس بالأزهر الشريف بمصر، حيث جلس إلى حلقة الشيخ عبد الباقي الزرقاني وحلقة الشيخ محمد الخرشي المتخصص في علم الحديث، وحلقة الشيخ الإمام إبراهيم الشبرخيتي قهرمان الحديث والتفسير وعلم الكلام، وحضر مجلس الشيخ سيدي عيسى بن سيدي يحيى الشاوي الذي كان يقرر في علم التوحيد. وبمسجد الإمام الفاكهاني جلس الرافعي إلى حلقة الشيخ خليل اللقاني ابن العلامة إبراهيم اللقاني مؤلف كتاب الجوهرة، والذي كان يقرر في علم السير. وفي طريقه من مصر إلى مدينة بولاق التقى بالشيخ شرف الدين، الفقيه العالم الناظر على زاوية سيدي الشيخ الدسوقي، فحدثه عن مناقب الأئمة الأربعة. وبمدينة الإسكندرية التقى بالفقيه التونسي الشيخ محمد جنين الذي أطلعه على كتاب " محاسن الإعلام في تاريخ الجزيرة بانتظام" للإمام البكري، وذكر الرافعي أنه سبق له الاطلاع على هذا المؤلَّف في المغرب، وأطلعه كذلك على تأليف له في تلخيص كتاب نفح الطيب للإمام أحمد المقري. كما جالس الفقيه سيدي علي الفياض المتخصص في الفقه والحديث والعربية.

ولم يقتصر دور الرافعي في تلك الحلقات والمجالس العلمية على التلقي فحسب، بل كانت له مشاركات وازنة تكشف عن باعه الطويل في مجال العلم، ولعل أبرز مثال على ذلك هو إجابته عن سؤال أحد الطلبة بجامع الأزهر الذي سأله عن رواية صريحة في تقسيط ختم القرآن، فأجابه الرافعي بأن له روايتين أخذهما عن علماء الوقت، ولما قرأهم عليه طلب منه أن يكتبهما له في بطاقة، فنظمهما في قصيدتين[12].

وفي جانب التصوف، يكشف لنا نص الرحلة النقاب عن شخصية الرافعي المتصوفة الربانية من خلال حرصه على زيارة قبور الأولياء والصالحين والتوسل بهم في قضاء الحوائج الدنيوية، وإيراده لكرامات الأولياء ومناقبهم، ومواظبته على قراءة وختم كتاب دلائل الخيرات كل يوم في حالتي الظعن والإقامة.

فبالنسبة لزيارة قبور الأولياء والصالحين، نجد الرافعي من خلال رحلته هاته قد جعلها طقسا رئيسا لابد من القيام به، حيث استغل إقامته بمصر القاهرة لزيارة قبور ورياض سيدنا الحسين (المشهد الحسيني)، والشيخ عبد الوهاب الشعراني وشيخه سيدي علي الخواص، وقبر الإمام سيدي محمد بن الحنفي وقبر الإمام أبو الحسن الششتري وروضة الإمام الرفاعي وقبر العلامة البقيني وقبر الإمام القسطلاني والإمام العيني [13]. وبمدينة الإسكندرية حرص الرافعي على زيارة قبر أبي العباس المرسي وقبر تلميذه يقوت الحرشي أو ياقوت الحبشي وقبر الإمام ابن الحاجب والإمام ابن الأسمر

والإمام الطرطوشي [14]. وقد كان كثير التردد على ضريح الإمام أبي العباس المرسي حيث كان يقرأ حزبه المشهور هناك [15]، وربط علاقة ودية مع القائم على روضته السيد إبراهيم بن صالح الذي أطلعه على كتاب في مناقب السادات الشاذلية[16].

إلى جانب زيارة قبور الأولياء والصالحين قصد التبرك بها والدعاء عندها والتوسل بجاههم، يتجلى البعد الصوفي في شخصية الرافعي من خلال اعتقاده في كراماتهم المجربة وذلك بتطبيقه ما أمره به أحد أصدقائه المصريين في الدعاء بجمع الشمل مع ولده [17] بعدما كان حائرا مترددا في أمره هل يذهب إلى مدينة رشيد لكي يَتَحَسَّسَ خبره؟: "**أفلا أدلك على خير من ذلك ويحصل لك فائدة للفرج والخير المتدارك؛ عليك بصلاة ركعتين عند السحر واتل سورة الإخلاص مئة مرة وكن لهذا الكنز مدخرا، وانو ما تخرج من الوعدة[18] للسادات المالكية وهم: الإمام ابن القاسم وأشهب وأصبغ، تجتمع بولدك قريبا من غير شك ولا مرية، فهذا الأمر لمن طلب عندنا شيء بمصر معلوم مشهور عند كل الناس، وبقضاء الحوائج متواتر محتوم** "[19]، فماذا كانت النتيجة ؟ يجيب الرافعي باندهاش كبير قائلا: **"فبينما أنا في إقبال وإدبار وقد اعتص علي تجاريع كاسات الاصطبار، إذ لاحت لدي بوارق البشرى وصاحت علي هواتف الفرج والسرور واليسرى، أن قد نلت غاية المنى وذهب عنك البؤس والسوء والعناء، فها ولدك قدم مع رفقائه، فقم وبادر إلى لقائه، فهبت! وسرت للهاتف منصتا والقلب قد**

طار لمن بالبشائر قد أتى، ووقفت وقوف راج وأضاء علي ما كان داج، فحمدت الله حمدا كثيرا وشكرناه على نعمه شكرا غزيرا، وبادرت في الحين إلى لقائهم"[20].

وبعد ما جمع الله شمله بولده الحاج أحمد قرر الرافعي الوفاء بنذره: **"فانتدبت إلى إخراج الوعدة والزيارة لقبور الصالحين والشكر لله وحده، وبادرت إلى زيارة رجال القرافة لأن التشبث بهم أمن من كل مخافة، قبور لهم حظ متين فكل صعب بقدرهم عند الله يلين"**[21].

ولاعتقاده الراسخ في كرامات الأولياء والسادات، أورد الرافعي في رحلته الكرامة التي حدثه بها الشيخ إبراهيم بن صالح القائم على ضريح أبي العباس المرسي، عن كرامات الشيخ أبي الحسن الشاذلي مع الإمام بن عرفة الذي كان مواظبا على قراءة الحزب الكبير حيث قال: **"أن بعض السادات حدثه بإسناد صحيح تلقاه الخلف عن السلف، أن الإمام ابن عرفة كان يقول في مجلس علمه بجامع الزيتونة: أن من واظب على قراءة الحزب الكبير المعروف للإمام الشاذلي رضي الله عنه كل صباح لقنه الإمام الشاذلي حجته، فلما مات الإمام ابن عرفة رُئِيَ في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: لما وضعت في قبري جاءني الملكان فقالا لي: من ربك ما دينك ومن نبيك؟ قال: فتلجلج لساني، وإذا برجل حسن الوجه قام بين يدي الملكان فقال: الله ربه ودينه الإسلام ونبيه محمد عليه السلام، فانصرفا عني وقد كفيت**

حجتهما، فتعلقت بالرجل وقلت له: من أنت الذي من الله علي بك؟ قال: أنا أبو الحسن الشاذلي أتيت ألقنك حجتك، ألست أنت القائل من واظب على حزبي الكبير لقنته حجته؟ وانصرف عني، أو كما قال كلام هذا معناه."[22].

كل هذه المقاطع وغيرها كثير، تكشف لنا عن شخصية رجل متصوف محب لأولياء الله الصالحين ومتعلق بجاههم وقدرهم المنيف، ومعتقد فيما خصهم به الله من بركات وأيّدهم به من كرامات، ولعل ذلك ما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار أن الرافعي رجل دين وعلم ظل بعيدا عن مخاضات السياسة [23]، فالمعلومات التي تتعلق بمواقفه السياسية ومواقفه من السلطة شبه منعدمة، باستثناء رسائله في دعم المجاهدين لتحرير الثغور المحتلة والتي ضمنها في كتابه " غرر المقاصد ودرر المطالب "، وبعض القصائد الشعرية التي نظمها في نفس الموضوع . كما يتضح موقف الرافعي المناصر لسياسة المولى إسماعيل في تحرير الثغور من خلال حديثه مع أحد المصريين الذي أراد الانتقاص من شأن المغاربة متهما إياهم بالتقاعس عن الجهاد ضد الكفار، حيث قال : " **أُخْبِرْتُ أن بالمغرب بعض الثغور احتووا عليهم الكفار وصاروا نكاية للإسلام وقد ملكوهم جهار، فذلك من الأمر القبيح بالمغرب ومعره وفيه للإسلام شين ومضره** " [24]، فرد عليه الرافعي قائلا : " **الأمر كما قلت صحيح والعذر في ذلك لا أجد عنه تلويح، لكن قد برق ولله الحمد بارق النصر والفتح، وبدا نجم السعادة باليمن والخير**

والنجح، وذلك أن ملكنا مولانا إسماعيل قد فتح ثغرين منهما الآن، وكاد الأمر يعود كما كان من نشر الإسلام بتلك الأماكن ويعود قرير العين من بالمغرب ساكن "[25]. إن موقف الرافعي من قضية تحرير الثغور وتزكيته لسياسة السلطان المولى إسماعيل الجهادية، لا يخرج عن موقف جميع المغاربة عامة وخاصة.

2 – العمارة والعمران بمدينة الجزائر خلال القرن 17م :

من الملاحظات الأساسية التي ينبغي الإشارة إليها قبل الدخول في دراسة هذا الموضوع، هي التغييرات والتجديدات التي عرفتها العمارة في بعض المدن التي زارها الرافعي بين فترتي ذهابه وإيابه أو بين زيارته لها قبل رحلته الحجازية هاته وخلالها، ويتعلق الأمر بمدينة الجزائر التي يبدو من خلال حديث الرافعي عنها مدى ارتباطه الوثيق بها وكثرة تردده عليها لزيارة أصهاره ومعارفه [26]، مما أتاح له الفرصة للوقوف على ما استحدث فيها من معالم جديدة لم تكن موجودة بها خلال زياراته قبل حجه أو خلال مرحلة ذهابه إلى الحجاز.

وعموما قدم لنا الرافعي في رحلته هاته مستويين من الوصف لمدينة الجزائر، الوصف العام الذي اختزل فيه الرحالة مميزات المدينة من حيث كثافة سكانها واتساع أسواقها وشوارعها وجمال منازلها وقصورها ومنتزهاتها، وهو وصف لا يخل من التعبير عن مواقف الإعجاب والاستحسان، التي تفصح عن الاحساس بالراحة والانشراح والاستئناس داخل هذه المدينة، كيف لا وبها

يستقر الأهل والأحباب والخلان، وبهذا الصدد يقول الرافعي : "
للجزائر أسواق بالمتاجر عامرة، وشوارع متسعة وبالخير غامرة وبالحسن باهرة، وأفواج من الناس يموجون في أزقتها القاهرة، قد حازت المفاخر فلا مصر تضاهيها ولا القاهرة، ومنازل لها حفيلة ودور باهية جميلة، ومنازه بها وقصور مموهة الأرجاء مدلية بها الستور، منوعة البناء شامخة العز والهناء، مرهبة لكل عدو كافر قاصمة لكل ملحد فاجر، سيف الإسلام بها مسلول لأهل الضلال والكفر بها مفلول، ذات بساتين وأجنة وأبراج بها عالية تخلخل الصدور والكنة، هذا واختصرت على بعض ما رأيت ولم أعاينه فيما سلف ومضى، وإن كانت بالجزائر أشياء لا يرام في وصفها انقضاء " [27] . والوصف الخاص الذي ركز فيه الرحالة على بعض المعالم والمآثر العمرانية خاصة الدينية، فاستغرق في وصف عناصرها المعمارية وخصائصها الهندسية والزخرفية ومواد بنائها .. وكخطوة منهجية، ارتأينا التمييز في أوصاف الرافعي للعمارة بمدينة الجزائر بين الأنواع الثلاثة الرئيسة وهي العمارة الدينية والعمارة الدفاعية والعمارة المدنية .

2 - 1 - المآثر الدينية :

تتعدد المنشآت الدينية في المدن الإسلامية، وتمثل الجوامع والمساجد الأساس الأول لكل مدينة ناشئة، حيث يجمع الكثير من الدارسين على أن الجامع هو أول ما يختط في المدن الإسلامية وتتشعب من حوله المرافق الأخرى من حمامات وأسواق وفنادق

ومساكن ... فيكون بمثابة القطب الذي تنتهي إليه الشوارع والأزقة والعنصر المعماري الرئيس الذي يتحكم في توجيه البنايات الأخرى في المدينة [28].

بالنظر إلى المكانة الروحية للمسجد ووظيفته الدينية التعبدية وأدواره الاجتماعية والتعليمية وحتى السياسية، اعتنى المسلمون بعمارة المساجد وتنافسوا في تخطيطها وهندستها، واعتنوا بتنميقها وزخرفتها أيما اعتناء حتى صارت تشكل أهم المعالم المعمارية التي تجسد خصوصيات ومميزات الحضارة الإسلامية عبر مختلف الحقب والعصور التاريخية . ومن هذا المنطلق شكلت المساجد والجوامع أهم المآثر الدينية التي خصها الرحالة بالوصف الدقيق رغبة منهم فيما ينالونه من الأجر والثواب، ورغبة منهم في إبراز مستوى ودرجات التدين بالمجتمعات الإسلامية، ذلك أن العناية بالمساجد عمارة وزخرفة وفرشا وصيانة ونظافة غالبا ما يعكس درجة عالية من التدين والعكس صحيح . ورحلة الرافعي التطواني لم تخرج عن هذا التقليد إن لم نقل أن صاحبها أولى اهتماما فائقا لوصف المساجد وإبراز خصائصها المعمارية والزخرفية في كل بلد من البلدان التي زارها ومكث بها مدة معينة، فبمدينة الجزائر التي قضى بها عشرة أيام في مرحلة الذهاب وخمسة أيام في مرحلة الإياب تمكن الرافعي من معاينة ثلاثة مساجد هي : مسجد خليل ومسجد باب حسن والمسجد الجديد بباب عزون، فحاول إبراز العناصر والخصائص المعمارية

المميزة لكل مسجد على حده، **فبمسجد خليل** الذي ينفتح على البحر بجوار المرسى، استوقفت الرافعي ضخامة البناء وعلوه المرتفع وقُبَّتَيْهِ [29] التي تقع إحداهما في وسط المسجد بينما تقع الأخرى عند مدخله، كما لم يخف الرافعي إعجابه بأنواع الرخام والزليج [30] الذي فرشت به أرض المسجد وغُشيت به حيطانه، وأنواع النقوش التي نقشت على منبره، كما لاحظ أن المسجد يشتمل على خمس سُدَّات [31] خشبية يصعد إليها بأدراج متعرجة، وخصة [32] (نافورة) يفور بداخلها الماء، أما بالنسبة للصحن [33] فرغم ضيق مساحته فإن انفتاحه على البحر وإشرافه عليه أعطاه ميزة فريدة، أما الأبواب فيذكر الرافعي أن للمسجد ثلاثة أبواب ذات أقواس من الرخام الأبيض المجلوب من بلاد الروم، وبهذا الصدد يقول : " **ولو عاينت يا هذا مسجد خليل ذات الحسن الفائق والقدر الجليل والبناء المتطاول الحفيل والارتفاع الشامخ الأثيل، قد شيدت في وسطه قبة في الجو مرتفعة من غير عمود ولا سَوَارٍ، لها أركان أربعة دارت بالقبة دور السِّوَار في غاية الصنعة والهندسة التي في نعتها الأفكار تحار، قد فرشت أرضه بالرخام المُجَزَّع** [34] **كما أن حيطانه غشي بالزليج المنوع، جعلوا للجامع خمس سُدَّات من العود في غاية الملاحة والإتقان والجود، لكل منهما باب بأسفله مرونق ودروج** [35] **يصعد إليهم بانحراف وعروج . له منبر رائق الحسن والجمال، فائق الوصف في البراعة والكمال، يعجز عن كنه وصفه أهل البلاغة والبيان، وتكل الألسن عن نعته إذ ليس**

له ثان، قد نقش بأنواع من النقش البديع وطُلِيَ بالذهب وطوق بكل لون فأذهل كل بصير يا سميع ! ولهذا المسجد قبة عند الدخول بحركات لها وهندسة، والماء داخلها في خصة يفور وفي أركانها يجول، له صحن ضيق على ضافة البحر عال عن الأرض، والمراكب تبصرها من هناك بالمرسى وهو منه على العرض، له ثلاث أبواب أقواسهم من الرخام الأبيض المنقوش من عمل الروم لا يقدر قدرهم، كما أن أمامهم أبدع ما يكون من الرخام مفروش " [36].

لا شك أن الوصف الذي قدمه الرافعي لمسجد خليل شامل ويستوعب جل العناصر المعمارية ويبرز أهم الخصائص الفنية لهذه المعلمة الدينية، لكن يبقى السؤال مطروحا حول تاريخ عمارة هذا المسجد، ونوع الطراز المعماري الذي ينتمي إليه (عثماني أم أندلسي) ؟

وقريبا من باب الواد يقع مسجد آخر يسمى **مسجد باب حسن**، لعل أهم ما يميزه حسب الرافعي هو تواجد قُبَّتين متفاوتتين من حيث الحجم، إلا أن كلتيهما تتميزان بالعلو والاتساع الكبيرين، كما تمتاز القبة الثانية باشتمالها على فتحات واسعة للتهوية ودخول الضوء (طاقات) وضعت عليها شبابيك نحاسية مسيجة بشبكة من السلك ذات عيون ضيقة لمنع دخول الحشرات وغيرها، يقول الرافعي : **" له قبتان في الجو صاعدة، يفصلهما بابان والثانية للأولى نافدة، للقبة الأولى تربيع وعلو واتساع،**

والثانية أكبر من الأولى ولها في الجو ارتفاع، لها أربع طاقات [37] **ذات اتساع وافتخار، لكل منهم شباك من النحاس** [38] **عليه شَبَكَة من السلك ضيقة وبتلك الطاق تدار"** [39]. كما لاحظ الرافعي وجود روض يشمل أزهارا عطرة ملتصق بالمسجد **" بضافة المسجد روض رائق يتنسم نسيم الأزهار بالمسجد كونه بالروض لاسق كذلك "** [40]. وبباب عزون عاين الرافعي مسجدا كان في مرحلة ذهابه في طور البناء و عند عودته للجزائر بعد أداء فريضة الحج وجده قد تم وكمل إنجازه، ولعل ما أثار إعجابه في هذا المسجد هو صومعته [41] التي **"يصعد إليها بمداريج ثنتان والباب واحد، فيتفاصل داخله الاثنين وكل في حيز وحده، له في اندراجه أشكال ومعاني وأحد المدارج فوق الثاني، لا يشعر من يصعد من أحدهما بصاحبه حتى يتلاقيا بأعلاها ويكون بجانبه"**[42].

2 - العمارة الدفاعية :

أبدى الرافعي - من خلال رحلته - اهتماما كبيرا لوصف المنشآت الدفاعية والعسكرية بالمناطق التي زاراها أو تلك التي شكلت خط سير رحلته، وكان تركيزه منصبا أساسا على وصف التحصينات الدفاعية بالمناطق الساحلية وخاصة المراسي وما اشتملت عليه من ترسانة وسفن حربية راسية، فقدم لنا معطيات دقيقة جدا عن أنواعها وأحجامها والمواد المستعملة في تنميقها ومستوى تسليحها . كما خص تحصينات المدن من أسوار وأبواب وأبراج وخنادق بالوصف والتصوير.

وقبل الشروع في تحليل مشاهدات الرافعي في هذا المقام، لابد من التذكير بأن اهتمام الرجل بوصف العمارة الدفاعية يدخل أولا : في إطار اهتمامه بموضوع العمارة، وثانيا : لكونه عايش مرحلة تحرير الثغور المغربية المحتلة من قبل الأوربيين على يد السلطان المولى إسماعيل، وثالثا : لأنه لامس وعاين من خلال رحلته البحرية تراجع وأفول نجم القوة البحرية العثمانية مقابل تعاظم قوة الأوربيين في هذا المجال العسكري، وهذا ما نستشفه من خلال حديثه عن جزيرة رودس التي ظلت تحت حصار " عمارة الكفار" أياما عديدة .

فبمدينة الجزائر استرعى انتباه الرافعي مرساها (مُولها) الحصين، المحاط بثلاثة أبراج منيعة مجهزة بأنفاض [43] من النحاس حيث قال : " **فلو شاهدت يا هذا مُولها [44] المشيد المتين الثابت البناء، وحصنها الحصين خارج في البحر بأميال والحصون به مديرة عريض مديد، وقد أحرز أوصافا في الحسن كثيرة، لَسَرَّكَ أخي رؤيته وسرت من هيكل شكله باهتا وتحققت أن اللساس [45] الدين به ثابت، ذات أبراج ثلاث لا يكيفون بوصف ولهم في المنعة حظ وإثبات، بأنفاض من النحاس عدة وسلاح ولامة فاخرة وعدة، تموج بنواحيهم أبطال الرجال من كل شهم كمي له في رهان السبق مجال** " [46] . إلى جانب المول كان للرافعي وقفة بباب الجزيرة الذي يعد حصنا منيعا من حصون الجزائر، حيث عاين به ترسانة صناعة السفن والمراكب الحربية التي

أسهمت في تجهيز وتزويد البحرية الجزائرية بما تحتاج إليه من قطع: "**كأن باب الجزيرة من إتقانه ومنعته صرح مُمَرَّدٌ شيد في ضافة البحر لحسنه وبهجته، قد شيدت أبراجه بالحجارة المنجورة والمَهَا** [47] **والصنعة الفائقة التي ليست لها انتهاء، مع ما شحنت هناك من المراكب الهائلة والسفن العديدة ذات عدة كاملة، فكم أنشأوا من مركب هناك وصنعوا، وكم أعدوا له من عدة مما يحتاجوه إرهابا للعدو وبه امتنعوا** " [48]. ومن الأمور التي استرعت انتباه الرافعي بمدينة الجزائر أيضا كثرة الحصون والأبراج حيث قال : " **وكم بالمدينة من حصون وأبراج مشحونة بالأبطال لهم بها اندراج، كباب عزُّون وباب الواد وباب الجديد والقصبة التي هي الملجأ والاعتماد** " [49]، ومن أهم تلك الأبراج التي أثارت استحسان وإعجاب الرافعي برج الفنار الذي قال في وصفه: " **لا سيما لو عاينت برج الفنار الذي هو آية الزمان وفيه اعتبار !** " [50].

2 - 3 - العمارة المدنية :

شكل وصف العمارة المدنية جزءً كبيرا من اهتمام الرافعي، وقد شمل هذا الوصف إلى جانب المدن والجزر، الدور والحمامات وأنظمة توزيع الماء ببعض المدن والمعالم الأثرية بالمدن العتيقة ... ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها في هذا المقام هي عنصر التركيز على البعد الجمالي في المعالم الموصوفة، وهو ما يبرز الذوق الفني الراقي الذي يتحلى به الرحالة باعتباره ينحدر من مدينة تعد عاصمة الحواضر الأندلسية بالمغرب، إنها مدينة تطوان [51] التي

احتضنت فن العمارة الأندلسية الموريسكية . فنشأة الرافعي بهذه الحاضرة الجميلة جعله يكتسب ذوقا فنيا راقيا و إحساسا مرهفا بقيم الجمال .

أ - وصف بعض الجزر والمدن الجزائرية :

شكلت بعض الجزر والمراسي المتوسطية محطات رئيسة في طريق الركب البحري الذي ظل اعتماده خلال الفترة الحديثة ضعيفا جدا بالنسبة للحجاج المغاربة [52]، إلا أنه بعد ذلك نسخ سائر ركاب المغرب الأخرى وحل محلها وصار مع مر الزمن هو ركب المغرب الرسمي [53]. فبعد انطلاق الرافعي من مرسى حلق الوادي (وادي مرتيل) [54] على متن سفينة شراعية، قاصدا مدينة الجزائر، مرت السفينة بالقرب من جزر ملوية ثم أرست بمرسى رأس الفرك وبعدها بمرسى حبيبة [55] التي قال في وصفها : " **و هي جزيرة بالبحر وإلى البر قريبة** " [56]، ثم نزل الركب بمرسى رجكون [57] حيث قضى يومين، وبعد العذول عن مرسى وهران خوفا من القراصنة، نزل الركب بمرسى مدينة مستغانم التي قال في وصفها : " **مصطغانم مدينة قديمة البناء ذات أمن وخير و هناء، على بعد من البحر بنحو الميلين أو ما يقرب من دون بين** " [58]، وبعد المرور على رأس الناقوس كان النزول بمدينة شرشال التي قال في حقها : " **أما مدينة شرشال فهي حسنة قديمة البناء على شاطئ البحر، أسواقها مستحسنة، جوامعها نظيفة ودورها شامخة الحسن منيفة** " [59]، وبعد ثلاثة أيام رحل الرافعي إلى مدينة الجزائر برا،

فاستقبل من قبل أصهاره هناك، وقضى بالمدينة عشرة أيام مكنته من الوقوف على الخصائص المعمارية لهذه المدينة التي لم يُخْفِ إعجابه بها كما سبق وأشرنا إلى ذلك، ثم واصل الرافعي رحلته بحرا فمر بمدينة العُنَّاب (عنابة) إلا أنه لم يدخلها لخوفه من شدة هيجان البحر، لكن تمكن أصحابه من الدخول إليها بالزورق فنقلوا أخبارها إليه، فقال في وصفها : " **إنها كمدينة شرشال أو ما يقرب إليها في الوصف و المثال** " [60] .

ب - وصف الحمامات :

بالنظر إلى طول المدة التي قضاها الرافعي بمدينة الجزائر والتي تصل إلى خمسة عشر يوما، ونظرا لمعرفته المسبقة بهذه المدينة ومرافقها، حيث كان كثير التردد عليها لزيارة أصهاره المقيمين بها، فإنه سرعان ما لاحظ الحمام الجديد الذي شيد بباب عزون، والذي لم يكن موجودا أثناء زياراته السابقة، فكان أن دخله وقدم لنا وصفا دقيقا لعناصره المعمارية وخصائصه الزخرفية، حيث شاهد بداخله قبة تقوم على أربعة أعمدة، وسَوَارٍ من الرخام محاطة بنافورات ينبعث منها الماء السخن والبارد : " **في داخله قبة قامت على أربع أعمدة، وسوار ذا هيكل حسن في وصفها الأذهان تحار، في أسفل كل سارية خصة من الرخام ذات حسن وبهجة وابتهاج وانتظام، والسارية وسط الخصة قائمة يخرج من جانبي كل سارية عنبوبين من الماء يصب في الخصة الناعمة، أحد الأنبوبين سخن والآخر بارد مُعدان لغسل الناس من كل قاصد**

ووارد "[61] . كما شاهد بجانب القبة بيت مستطيل الشكل بداخله خصتان في وسط كل واحدة منهما عمود يصب منه الماء السخن والبارد، وللبيت طاقات عديدة مغشاة بالزجاج : " **بجانب القبة بيت طويل داخله خصتان لهما شكل بديع ووصف جميل معدات لكل من يأتي، لكل منهما عمود وسطها كالدراع يصب منها الماء السخن والبارد معتدل متواني، فيه طاقات عديدة مغشاة بالزجاج والناس يدخلونه أفواجا أفواج** "[62] .

خلاصة :

إن موضوع وصف العمارة، من المواضيع التي تكاد تتكرر في جل الرحلات المغربية حِجازية كانت أو سِفارية، لكن القليل من هذه النصوص الرِّحْلِيَّة التي تقدم معطيات تقنية دقيقة عن المآثر العمرانية موضوع الوصف، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة تكوين الرحالة المغاربة الذي يغلب عليه الطابع الفقهي والثقافة الصوفية . من هنا تتميز رحلة الرافعي بين أقرانها بميزة فريدة، تتمثل في حضور الجانب التقني الدقيق في أوصاف الرحالة من جهة، وفي رصد التغييرات والتجديدات التي عرفتها بعض المدن (مدينة الجزائر) على مستوى العمارة من جهة ثانية . لقد شكل وصف العمارة وإبراز عناصرها المعمارية وخصائصها الفنية الزخرفية الموضوع الرئيس في رحلة " **المعارج المرقية في الرحلة المشرقية** " ، فاهتمام الرافعي التطواني بوصف المآثر الدينية والدفاعية والمدنية في مدينة الجزائر، يكشف لنا شدة تعلق الرجل بهذه الحاضرة

الإسلامية وانجذابه إليها، وإحساسه بتميز فن عمارتها الذي يمتزج فيه التأثير الأندلسي الموريسكي بالتأثير التركي العثماني، كما يعكس لنا مدى علم الرجل وخبرته بفن العمارة والتشييد، ويبدو ذلك جليا في مباشرته الميدانية لرفع القياسات وحساب المسافات وتحديد الأشكال الهندسية ومواد البناء والزخرفة بدقة متناهية .

الهوامش:

[1] - توري عبد العزيز: العمارة المغربية: مادة البناء في بعض استعمالاتها عبر العصور، مجلة المناهل، عدد مزدوج 73 – 74، فبراير 2005، ص 11.

[2] - الحسن شاهدي : عمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة من خلال الرحلة الكبرى لابن عبد السلام الناصري، مجلة المناهل، عدد مزدوج 73 – 74، فبراير 2005، ص 339 .

[3] - يتعلق الأمر على وجه الخصوص برحالة القرن الثامن عشر الذين اعتمدوا في رحلاتهم على نقل أوصاف سابقيهم .

[4] - محمد الرافعي التطواني : المعارج المرقية في الرحلة المشرقية، مخطوط الخزانة الداودية بتطوان، ضمن مجموع رقم 134، صص 63 – 64 .

- يبدأ ترقيم صفحات الرحلة من الرقم : 12 و ينتهي عند الرقم 203، إلا أننا فضلنا إعادة ترقيمها بدءً من الرقم 1 إلى الرقم 192 .

[5] - لا تزال مخطوطة بالخزانة الداودية بتطوان، و تقع ضمن مجموع رقم 134 .

[6] - محمد داود : تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن، 1959، المجلد الأول، ص 390 .

[7] - مصطفى الغاشي : الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، صص 168 - 169 ./ مصطفى الغاشي : صورة الشرق من خلال " المعارج المرقية في الرحلة المشرقية " للرافعي التطواني، مجلة التاريخ العربي، عدد 15، 1421، صص 93 – 94 .

[8] - يجمع المؤرخون والباحثون على أن تاريخ وفاة الرافعي التطواني غير مضبوط، ولعل ذلك راجع إلى تجاهل أصحاب التراجم والفهارس لهذا العلم المغمور الذي عرّف به إنتاجه الفكري وأخرجه من العدم إلى الوجود على حد تعبير مؤرخ تطوان الأستاذ محمد داود، الذي يعتقد أن الرافعي قد طال به العمر وتأخرت وفاته إلى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي حيث يقول : " وقد علمت من تقاريظ ديوانه أنه كان حيا عام 1110 هـ، فكان عمره إذ ذاك سبعين عاما، وأظن أنه عمّر أكثر من ثمانين عاما والله أعلم "، والتاريخ نفسه تبناه الأستاذ محمد المنوني . أما صاحب الدليل فيرى أنه كان حيا سنة 1125 هـ / 1713 م، ويرى الدكتور عبد الله المرابط الترغي أنه كان حيا عام 1100 هـ . راجع :

- محمد داود : تاريخ تطوان، م 1، ص 409 . / محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب، من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1983، ج 1، ص 188 . / عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1997، ص 250 . / عبد الله المرابط الترغي : حركة الأدب في المغرب على عهد المولى إسماعيل (1082 – 1139 هـ) دراسة في المكونات والاتجاهات، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بتطوان، نوقشت سنة 1992، غير منشورة، ج 5، ص 1537 .

[9] - محمد داود : مرجع مذكور، ص 390 .

[10] - خير الدين الزركلي : الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعرب والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002، ج 6، ص 250 .

[11] - الرحلة، ص 80 .

[12] - الرحلة، صص 58 – 59 .

[13] - الرحلة، صص 50 – 51 .

[14] - الرحلة، ص 155 .

[15] - الرحلة، ص 159 .

[16] - نفسه .

[17] - اصطحب الرافعي معه ولده أحمد في هذه الرحلة الحجازية، و حيل بينهما في جزيرة رودس - التي ظلوا محاصرين فيها لعدة أيام - بعد نزاع وقع بين بعض الحجاج و طاقم السفينة التركية التي ركبوها في اتجاه مدينة رشيد، و كان سبب النزاع هو رفض طاقم السفينة السماح لبعض الحجاج الذين تأخروا من الصعود على متن السفينة، فاحتج بعض الحجاج المغاربة و منهم الحاج أحمد ابن الرافعي و دخل في عراك مع بعض أفراد الطاقم، الذي قرر إعادتهم في زورق إلى الجزيرة، في حين اتجه الرافعي إلى مدينة رشيد. أنظر : الرحلة، صص 29 – 30 .

[18] - يقصد النذر .

[19] - الرحلة، ص 54 .

[20] - نفسه .

[21] - نفسه .

[22] - الرحلة، ص 162 .

[23] - مصطفى الغاشي : الرحلة المغربية ...، ص 171 .

[24] - الرحلة، ص 62 .

[25] - الرحلة، صص 62 – 63 .

[26] - يجب التذكير في هذا المقام أن علاقة الرافعي بالجزائر و وجود أصهاره بها، تعكس نوعا من العلاقة القوية التي تجمع المغاربة والجزائر، خاصة تلك الأسر التي ترجع أصولها إلى الجزائر و استقرت بتطوان منذ القرن 17 م .

[27] - الرحلة، ص 17 .

[28] - مينة المغاري : مدينة موكادور – السويرة، دراسة تاريخية وأثرية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، ط 1، 2006، ص 201 .

[29] - القبة : عنصر معماري يرتكز أساسا على قاعدة أسطوانية الشكل، و تختلف أشكال القبب من بصلية الشكل و أهليجية وبيضوية وهرمية، وهي من أظهر عناصر العمارة المسجدية الإسلامية . أنظر :

- مينة المغاري : مدينة موكادور – السويرة، ص 604 . / حسين مؤنس : المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، ص 120 .

[30] - الزليج : قطع من الخزف ذي البرنيق تستعمل لتغطية الجدران و التبليط . مينة المغاري، مرجع مذكور، ص 600 .

[31] - السُدَّةُ : في لغة أهل الحضر باب الدار و البيت و قيل الفناء و الصُفَّة تكون بين يدي البيت و الظُلَّة تكون بباب الدار و السقيفة، و سدة المسجد الأعظم ما حوله من الرُواق . أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج 6، سدد ص 211 .

[32] - الخصة : صهريج صغير ينبعث منه الماء، و يوجد بالمساجد و المنازل و غيرها . مينة المغاري، م . س، ص 598 .

[33] - الصحن : ساحة أو فناء مكشوف داخل المسجد يكون مصدرا للضوء و الهواء لباقي أجزائه كما أنه متسع للمصلين إ ذا ضاقت بهم المساحة المسقوفة أو المغطاة (بيت الصلاة)، و يضم الصحن في الأغلب نافورات يندفع منها الماء تستعمل لوضوء

المصلين وإضفاء لمسة جمالية على صحن المسجد كما هو الحال في صحن جامع القرويين . أنظر :

- إسماعيل الخطيب : الضوابط الشرعية لعمارة المساجد، ضمن اعمال ندوة " خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية " الرباط، 2 جمادى الثانية عام 1428هـ/ 18 يونيو 2007، ص 18. - حسين مؤنس: المساجد، صص 61 - 62 . - مينة المغري: م . س، ص 601 . / خالد عزب : فقه عمارة المساجد، مجلة العربي، 656، يوليوز 2013، صص 45 – 48 .

[34] - الرخام المجزع : الرخام الذي يجتمع فيه لوني السواد و البياض . أنظر : المعجم الوسيط، جزع، ص 121 .

[35] - دروج : مفرده درجة، عتبة من الخشب أو من الحجر تكون أجزاء السلم . أنظر : مينة المغاري، م . س، ص 598 .

[36] - أنظر : الرحلة، صص 15 – 16 .

[37] - مفردها طاقة و هي نافذة صغيرة تدخل الضوء و الهواء، و تسمى أيضا بالقمرية و هي فتحات مستديرة أو مربعة أو مسدسة أو مثمنة الهيئة تفتح في أعلى الجدران أو في رقاب القباب ثم تغطى بالزجاج الملون فيكون لها أثر جمالي زخرفي بديع، و هي أكثر ما تكون في المساجد السامقة الارتفاع أو القباب العالية، و استعمالها قديم جدا في العمارة الإسلامية . أنظر : حسين مؤنس، م . س، صص 130 – 131 .

[38] - يعرف هذا الشباك بالشمسية وهو عنصر بديع من عناصر الزينة تساعد على دخول الضوء و الهواء إلى المسجد . أنظر : حسين مؤنس، م . س، ص 130 .

[39] - الرحلة، ص 16 .

[40] - نفسه .

[41] - الصومعة : هي المئذنة أو المنارة، و هي وحدة معمارية أصبحت تشكل مع القبة رمزا دالا على المسجد موضع عبادة المسلمين، و تتخذ أشكالا شتى ما بين الأسطوانية و المضلعة و المربعة، و تنوعت هندستها باختلاف العصور، كما زخرف بناؤها و زين بالنقوش البديعة . أنظر : حسين مؤنس، م . س، صص 113 – 120 . / إسماعيل الخطيب، م . س، ص 19 . / خالد عزب، م . س، صص 48 – 51 .

[42] - الرحلة، ص 17 .

[43] - الأنفاض : المدافع .

[44] - مول أو مون : MÔLE، رصيف المرسى أو الميناء . أنظر: عبد الرحيم مودن : معجم التواصل و اللاتواصل في الرحلة المغربية السفارية (الديبلوماسية) أثناء القرن 19، ملحق رقم 1 : معجم المعمار في الرحلة المغربية الديبلوماسية (السفارية) خلال القرن 19، ضمن ندوة الرحالة العرب و المسلمون، اكتشاف الآخر، المغرب منطلقا و موئلا، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، ط 1، 2003،، ص 458 .

[45] - يقصد الأساس .

[46] - الرحلة، ص 15 .

[47] - المَهَاةُ : الحجارة البيض التي تبرق، و هي البلور . أنظر: لسان العرب، مها، ج 13، ص 214 .

[48] - الرحلة، صص 14 – 15 .

[49] - الرحلة، ص 15 .

[50] - نفسه .

[51] - تِطوان : و تعرف أيضا بـ تطاوين و تطاون، مدينة تقع في الشمال الغربي من المغرب، على بعد 10 كلم من البحر، و 44 كلم من مدينة سبتة، كانت قرية مأهولة منذ القديم، و في سنة 685 هـ بنى السلطان يوسف بن عبد الحق المريني قصبتها، وفي عام 708 هـ أمر حفيده السلطان أبو ثابت باختطاط المدينة، فبنيت و عمرت و استمرت آهلة إلى حدود القرن التاسع فخربت، و لما تدفق المهاجرون الأندلسيون على السواحل المغربية بعد سقوط غرناطة في يد النصارى، نزلت جماعة كبيرة من أهلها بشاطئ مرتيل، واستأذنوا السلطان محمد الشيخ الوطاسي بالإذن لهم في بناء مدينة يحفظون فيها عيالهم ومتاعهم، فعين لهم مدينة تطوان، وولى عليهم كبيرهم علي المنظري، فرمم أسوار المدينة القديمة، و بنى الجامع الكبير، ثم أخذ في جهاد البرتغاليين بسبتة و بلاد الهبط و أسر منهم ثلاثة آلاف استخدمهم في بناء ما بقي من المدينة . و قدر المؤرخ فيلياس عدد سكانها سنة 1860 م ب 12000 نسمة من المغاربة و اليهود الذين كانوا يتعاطون للتجارة مع الإسبان و الإنجليز، و ذكر أنها اشتهرت بإنتاج الزبيب و البرتقال الذي يوجه نحو التصدير . أنظر:

- البكري : كتاب المسالك و الممالك، ج 2، ص 784 / الوزان : وصف إفريقيا، ج 1، صص 318 - 319 / ابن زيدان : العز و الصولة، ج 1، ص 164، هامش رقم : 2 / السعود عبد العزيز : تطوان في القرن الثامن عشر (السلطة - المجتمع - الدين)، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، ط 1، 2007، صص 14 - 31 .

- Fillias . M . A : L'Espagne et le Maroc en 1860 , paris , 1860 , p 46 .

- Frisch . R . J : Le Maroc , géographie - organisation - politique , Paris , 1895 , pp 88 - 89 .

- Eduardo de León y ramos : Marruecos ,Madrid ,1915 , pp 12 - 15 .

[52] - مصطفى الغاشي : الطرق وظروف الرحلة إلى مكة في الفترة الحديثة، المغرب الأقصى نموذجا، ضمن كتاب المغرب والأندلس دراسات في التاريخ و الأركيولوجيا، تقديم وتنسيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب بتطوان، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2006، ص 128 .

[53] - محمد المنوني : من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، 1953، ص 41 .

[54] - وادي مرتيل : نهر يخترق مدينة تطوان ويصب في البحر الأبيض المتوسط . ومدينة مرتيل حاليا من أجمل المدن الشاطئية المغربية وهي تابعة من الناحية الإدارية لعمالة المضيق – الفنيدق. أنظر : عبد العزيز بنعبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضرية، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص 258 .

[55] - يقصد جزر حبيباس المقابلة لشاطئ مدينة وهران الجزائرية، و هي خمس جزر صخرية، شيدت بها عام 1838 م منارة يربو طولها عن 110 أمتار. أنظر : عالية بوخاري : جزر حبيباس بوهران، متعة الاستكشاف في سحر الطبيعة، جريدة الجمهورية، وهران، عدد 4742 بتاريخ 4 شتنبر 2012، ص 11 .

[56] - الرحلة، ص 8 .

[57] - رشقون : جزيرة بركانية تقع على بعد 4 كلم من ساحل بني صاف بولاية تموشنت الجزائرية، تقدر مساحتها ب 26 هكتار.

[58] - الرحلة، ص 9 .

[59] - الرحلة، ص 12 .

[60] - الرحلة، ص 22 .

[61] - الرحلة، ص 16 .

[62] - الرحلة، صص 16 – 17 .